



#### مقدمة:

ما أرى شريعة دعت إلى الإنصاف ولا شريعة حذرت من الإجحاف والعصبية من شريعة تقول: **(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)** (المائدة: 2)

إنَّ الإنصاف خلق رفيع وأدب سامي يدلُّ على كرم النفس وصفاء السيرة والبعد عن الأثرة، وبالإنصاف يقوى الفهم، ويتسع الأفق، ويعلو القدر، ويسود الود، وأعلى ما في ذلك كله: حصول رضا الله - جلَّ وعلا -. قال تبارك وتعالى: **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعُدْلِ وَالْإِحْسَانِ)** (النحل: 90)،

وقال عز وجل : **(وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)** (الحجرات: 9)

وقال تبارك وتعالى: **(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)** (المائدة: 8)

أخرج ابن الجوزي عن عمر بن سعيد عن أمه قالت: "قدم ابن عمر مكة، فسألوه، فقال: "أتجمعون لي يا أهل مكة المسائل وفيكم ابن رباح - يعني عطاء -؟!".

فابن عمر - رضي الله عنه - كان صاحبًا وعطاء - رحمه الله - كان تابعيًا، ومع ذلك لم يجد ابن عمر غضاضة أو حرجًا من إنصاف عطاء.

#### عناصير الخطبة:

- 1- معنى الإنصاف وما يُعين عليه.
- 2- روعة القرآن في بيان دقة الإنصاف:
  - الإنصاف مع الكفار .
  - بين المشركين والعصاة من المؤمنين.
  - حرمة التعميم في الذم.
  - العدل مع الحيوانات.
  - الإنصاف مع المعاهدين والذميين.
  - بين البغض والإنصاف.

3- الغلو يحرم صاحبه الإنفاق.

4- مبادئ تعين على الإنفاق :

- الانتباه إلى المقاصد

- التحقق بالثبات

- حمل الكلام على أحسن الوجوه

- عدم نشر سيئات الإنسان وتجاهل حسناته

## 1- معنى الإنفاق وما يعين عليه

الإنفاق لغة: مأخذ من (**النِصْف**). وأصل استعماله من الشيء يكون مشتركاً على التساوي بين اثنين، فمن أخذ نصفه بلا زيادة فقد أنصف، ومن أعطى شريكه نصفه بلا نقصان فقد أنصف. ومن حكم أو قسم بين شريكين فأعطى كل واحد نصفه بلا زيادة ولا نقصان فقد أنصف. ثم اتسع استعمال اللفظ ومشتقاته، للدلالة على السوية بين الناس فيما لهم وما عليهم، سواء كان النصف أو غيره مما هو مستحق، وسواء كان ذلك في الأشياء، أو في الأفعال، أو في الأقوال.

تواضع الإنسان في نظره إلى نفسه وعلمه وآرائه، هو الذي يُمكّنه أن يكون متواضعاً في نظره إلى غيره. ومن هنا يأتي إنصافه لهم، فالتواضع يكون أساساً مع النفس ومع الذات، وإنفاق يكون مع الغير وخاصة مع المخالفين. ولا يكون إنصافاً للمخالف، بدون تواضع ذاتي، فالمتكبر والمكايد في نفسه، لا يُنتظر منه إنصاف لغيره.

## 2- روعة القرآن في بيان دقة الإنفاق

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ) (النساء: 135)

وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ). (المائدة: 8)

### أ- الإنفاق مع الكفار:

دعانا سبحانه في كتابه وعلمنا الإنفاق حتى مع الكفار، فقال تعالى مفرقاً بين أصناف أهل الكتاب: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ يُقْنَطِرٌ يُؤْدِهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤْدِهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا) (آل عمران: 75) فتأمل كيف فصل ولم ينسب هذا الخلق السيئ إليهم جميعاً، مع أن عند جميعهم ما هو أسوأ منه.

وقال تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْتَّيْهِ يَرِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) (العنكبوت: 46) ففرق تعالى بين الذين ظلموا وبين غيرهم. وبين لنا أن منهم من يجادل بالتالي هي أحسن، ومنهم من يجادل بالتالي هي أقوم، وبين تأخير اللام وتقديمها - لمن يستحق ذلك - عدل عظيم وإنفاق مبين.

وفي سورة الممتحنة فرق سبحانه بين من قاتلوا في الدين وأخرجونا من ديارنا وظاهروا على إخراجنا، وبين من لم يفعل ذلك من الكفار، فقال تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوْهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ \* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلُّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \*) (الممتحنة: 8-9)

ولذلك فرق رسولنا صلى الله عليه وسلم في معاملاته وسيرته وطريقته وهديه مع من حارب الله ورسوله وأذى المؤمنين كعقبة بن أبي معيط وأمثاله، وبين من أجراه ونصره وسعى في نقض صحيفة الحصار التي أبرمتها قريش كالطعم بن عدي و أبو البختري، حتى قال صلى الله عليه وسلم في أسرى بدر: (لوكان مطعم بن عدي حياً، ثم كُلْمَني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له) .. أئي شكر هذا وأئي إنصاف في الحديث حتى عن مشرك وثنى كان قد أعاذه وأجراه في وقت من الأوقات، فكافأه صلى الله عليه وسلم بهذا الموقف حتى بعد وفاته، وقال فيه هذه المقالة؟!

هذا الإنفاق الذي هو مزية الأشراف .. فمن باب أولى إن كان الحديث عن مسلمين لهم حق من المعاولة لا يخرجون منها ما داموا داخل دائرة الإسلام.

#### ب - بين المشركين والعصاة من المؤمنين:

إنه في مقابل ما طلبه الله منا من براءة كاملة من الشرك وأهله كما في قوله: (قدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَا بُرَاءٌ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) (المتحنة: 4)

فإنه سبحانه أمرنا بالإنفاق مع العصاة من أهل الملة فقال في شأن المؤمنين: (وَاحْفِظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* إِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بِرِّيَءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ) (الشعراء: 215-216)

فتتأمل الفرق بين البراءة الكاملة من المشركين والبراءة الجزئية من المؤمنين والمتمثلة بالبراءة من معاصيهم فقط ، دون البراءة منهم أنفسهم.

هذا الفرقان يمثل العدل والميزان والإنصاف، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عصى أحد أصحابه لا يتجاوز في عقوبته الحد الذي حدده الله لأمثاله، ويشهد حتى للعصاة منهم بالحق الذي يستحقونه، فلا تُضيق معصيتهم – ولو كانت من الكبائر- حقوقهم ولا تخرجهم من دائرة المعاولة الإيمانية، فلما رجم الغامدية في الزنا ورمها خالد بن الوليد بحجر في رأسها فنضح دمها على وجهه فسبها، قال له صلى الله عليه وسلم: (مهلاً يا خالد، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكسٍ لغفر له) (مسلم: 1695)، ثم أمر بها فصلٍ عليها ودفنت.

وفي رواية لمسلم أيضاً أن عمر قال للنبي صل الله عليه وسلم: (أ يصلى عليها) فقال: (لقد تابت توبة لو قسمت بين أهل المدينة لوسائلهم) . وفي رواية (هل وجدت أفضل من أن جاتت نفسها لله) (مسلم: 1696).

الله أكبر .. ما أجمله وأكمله من عدل وإنفاق! خطيبتها شيء وحقها وإنفاقها شيء لا يضيع رغم خطيبتها، إن هذا هو العدل الذي أمرنا الله تعالى به في كتابه: (وَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِنَّا قُلْنَا فَاعْدُلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) (الأنعام: 152)

وعن عمر بن الخطاب: (أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ فَأَتَى بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ فَقَالَ رَجُلٌ مِّنْ الْقَوْمِ اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَلْعَنُوهُ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (البخاري: 6780)

#### ج - حرمة التعيم في الذم:

سبحانه ما أعدله حتى مع من حارب دينه وأدى نبيه وصدّ عن سبيله، قال: (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ ) (وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ )، (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَذْنَنَ لِي وَلَا تَفْتَنِي )، (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ ) (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ النَّبِيَّ )، (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لِيْنَ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصِدَّقَنَ وَلَنَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ) وهكذا، ومنهم.. ومنهم.

وكذلك فصل في الأعراب فقال: (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنِيقُ مَغْرِمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ) (التوبه: 98)، وقال: (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنِيقُ قُرُبَاتِ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ) (التوبه: 99)،

فرقٌ وعدَلٌ ومَيَّزَ، وهو أهل العدل والتقوى والمغفرة، وهذا كلٌّ ليعلمنا العدل وإنفاق التمييز والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

#### د - العدل مع الحيوانات:

في غزوة الحديبية، لما أبْتَ ناقة النبي صلى الله عليه وسلم أن تسير، وقال الصحابة: خلأ القصواه، (يعني حرنت وبركت وأبْتَ أن تسير من غير علة) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم مدافعاً عن ذاته: (والله ما خلأ القصواه، وما ذاك لها بخلق

فتأمل كيف يعدل النبي صلى الله عليه وسلم في الكلام والقول حتى مع البهيمة العجماء.

#### هـ - الإنصاف مع المعاهدين والذميين

عَنْ صَفَوَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ عِدَّةٍ مِّنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ آبائِهِمْ رِبْنَيْهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ اتَّقَسَّهُ أَوْ كَلَفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخْذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبٍ نَفْسٍ فَإِنَّا حَاجِجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [أبو داود 3052 وصححه الألباني]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَلَا مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَقَدْ أَخْفَرَ بِذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يُرِحُّ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) [الترمذى 1403 وصححه الألباني]

ولما فتح الفرنجة القدس ذبحوا سبعين ألفاً في ليتين، فلما فتح صلاح الدين القدس جاءته امرأة من أهل القدس فقدمت ابنها، فوقف ولم يجلس حتى أعادوا له ابنها، هذا هو العدل، وأنت كمسلم مقيد بالعدل، لا تقلد الطرف الآخر، أنت مقيد بمنهج، يجب أن يشيع العدل بين المسلمين، بين الأسر، بين الأولاد، في الميراث، في الوصية، في التوزيع، بين الموظفين، إن لم نكن عادلين لا نستحق أن يتنزل علينا نصر الله عز وجل.

قال الحافظ بن عبد البر: (المؤمن وإن أبغض في الله لا يحمله بغضه على ظلم من أبغضه)، سأل أحدهم عمر بن الخطاب عملاق الإسلام، قال: أتحبني؟ قال: لا والله لا أحبك، قال: هل يمنعك بغضك لي من أن تعطيني حقي؟ قال: لا والله، قال: إذا إنما يأسف على الحب النساء) . يقول الله عز وجل: «فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدُلُوا وَإِنْ تَلْؤُوا أَوْ تُرْعِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» (النساء : 135)

تروي القصص أن يهودياً جاء يستكي على سيدنا عليّ أمام عمر بن الخطاب، وكان قاضياً، قال: قم يا أبا الحسن، فوقف بجانب الرجل ليستوي، فلما حكم تغير وجه سيدنا علي، قال عمر: يا أبا الحسن هل وجدت عليّ؟ قال: نعم، قال: ولم، ماذا فعلت؟ قال: لم قلت لي: يا أبا الحسن، ولم تقل لي: يا علي، فضلتنى عليه بالكتيبة.

#### وـ عدل النبي مع من قسى عليه:

وعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ: (جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقَاضِهِ دَيْنًا كَانَ عَلَيْهِ فَاشْتَدَ عَلَيْهِ حَتَّى قَالَ لَهُ أَحْرَجْ عَلَيْكَ إِلَّا قَضَيْتَنِي فَانْتَهَرَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا وَيَحْكُمْ تَدْرِي مَنْ تُكَلِّمُ قَالَ إِنِّي أَطْلُبُ حَقِّي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلَا مَعَ صَاحِبِ الْحَقِّ كُنْتُمْ ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَيْ خَوْلَةَ بِنْ قَيْسٍ فَقَالَ لَهَا إِنْ كَانَ عِنْدُكَ تَمْرٌ فَأَقْرَضْتِنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا تَمْرُنَا فَنَقْضِيَكِ فَقَالَتْ نَعَمْ يَا بَيْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَأَقْرَضْتُهُ فَقَضَى الْأَعْرَابِيُّ وَأَطْعَمَهُ فَقَالَ أَوْفِيَنَّ أَوْفِيَنَّ أَوْفِيَنَّ اللَّهُ لَكَ، فَقَالَ أُولَئِكَ خَيَارُ النَّاسِ إِنَّهُ لَا قُدْسَتْ أُمَّةٌ لَا يَأْخُذُ الضَّعِيفَ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرُ مُتَعْنِتٍ) [ابن ماجه: 2426 وروجال إسناده ثقات]

#### زـ - بين البعض والإنصاف:

عَنْ جُنْدِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ.. (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَعْثًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَإِنَّهُمْ الْتَّقَوْا فَكَانَ رَجُلٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَهُ فَقَتَلَهُ قَالَ: وَكَنَا نُحَدِّثُ أَنَّهُ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَتَلَهُ فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبِيرُ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ لِمَ فَقَتَلْتَهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفَقَاتَلَهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي قَالَ وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (مسلم: 97)

فتأمل كيف أن هذا الرجل قد أثخن في المسلمين الجراح، ولكن لم يحمل بغضه النبي صلى الله عليه وسلم على عدم العدل

معه حتى ولو أتى بحسنة واحدة.

### 3- الغلو يحرم صاحبه الإنصاف

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذِي الْخُوَصِرَةِ التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «وَإِنَّكَ، وَمَنْ يَعْدِلْ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ» قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنْقَهُ، قَالَ: " دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتُهُ مَعَ صَلَاتِهِ، وَصِيَامُهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيمَةِ، يُنْظَرُ فِي قُذْنِيهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَصْبِيَّهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ، آتَيْتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ، أَوْفَاهُ مِثْلُ ثَدْيِيَّهُ، مِثْلُ ثَدْيِيَّ الْمَرْأَةِ، أَوْفَاهُ مِثْلُ الْبَصْنَعَةِ تَدَرْدَرُ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةِ مِنَ النَّاسِ ".

قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي صلَّى الله عليه وسلم وأشهد أنَّه على قتلهم، وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي صلَّى الله عليه وسلم، قال: فنزلت فيه: ( وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ) [التوبه: 58] (البخاري: 6933) فانظر إلى غلو هذا الرجل كيف جعله يتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدم العدل، فكيف بأحفاده من أهل الغلو في الدين وقد رأينا منهم تكفيرهم لل المسلمين مما جعلهم يستبيحون دماءهم وأموالهم وأعراضهم.

### 4- مبادئ تعين على الإنصاف

أ- الانتباه إلى المقاصد : عَنْ أَنَّسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ( لَهُ أَشَدُ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَمَّا فَانَّفَلَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيْسَ مِنْهَا فَاتَّ شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا فَدَعَ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرْ لَهُ كُلَّ ذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمًا عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ ) ( متفق عليه )

فهذا الأعرابي نطق بالكفر، ولكن ما كل من وقع في الكفر وقع عليه الكفر، ليس هذا مقصد، إذا أنت حينما تعيش بين مؤمنين، وحينما ترى خطأ أو كلمة في غير محلها ابحث عن قصد قائلها، لعله ما أراد أن يسيء، اغفر له ذلك، فحينما تكون مع القصد ومع النية قد تسماح من حولك، أما حينما تكون قناصاً تأخذهم بكلمة ما أرادوا معناها، وما أرادوا أبعادها، فأنت لم تتصفهم، لأن نية العمل جزء منه.

#### ب- التحقق بالتبني:

شيء آخر، من عوامل الإنصاف أن تكون متحققاً مثبتاً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيَ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (سورة الحجرات:6) لأن تخطئ في العفو أحضر ألف مرة من أن تخطئ في الاتهام، هل عندك الأدلة الكافية؟ ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِلَّم﴾ (سورة الحجرات:12)

ليس هناك دليل، كيف تدرِّي كرامة أخيك؟ كيف تتهمنه بسوء الائتمان و ليس عندك دليل؟  
قال الحسن البصري: المؤمن وقاف حتى يتبيّن .

قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقَتْ أُمْ كُنْتَ مِنَ الْكَانِينَ﴾ (سورة النمل:27)

تحقق، تريث، تأنّ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ (سورة النساء : 94)

توزيع التهم بسرعة و بكثافة و براحة، وأنت المنزه، وأنت المعصوم، وأنت الفهيم، والناس كلهم حولك يخطئون، هذا خطأ كبير.

ج- حمل الكلام على أحسن الوجوه : ينفي أن تحمل الكلام على أحسن الوجوه، فأحسن الظن بإخوانك، التمس لهم

الأعذار، أحمل كلماتهم على مقاصد شريفة، وقد جاء في بعض أقوال الصحب الكرام: (ضع أمر أخيك على أحسنِه، ما لم يأتك ما يغلبك، و لا تظنن بكلمة خرجة من امرئ مسلم شرًّا، وأنت تجد لها في الخير محملاً)، حاول أن تبحث عن قصد شريف لهذه الكلمة.

#### د- عدم نشر سيئات إنسان و تجاهل حسناته :

من التوجيهات النبوية ألا تنشر سيئات إنسان و تتجاهل حسناته، كان عليه الصلاة والسلام يدعو و يقول: (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ، وَمِنْ زَوْجٍ تَشِيبَنِي قَبْلَ الْمُشَيْبِ، وَمِنْ وَلَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ رَبِّاً، وَمِنْ مَالٍ يَكُونُ عَلَيَّ عَذَابًا، وَمِنْ خَلِيلٍ مَا كَرِبَ عَيْنَهُ تَرَانِي، وَقَلْبُهُ يَرْعَانِي؛ إِنْ رَأَى حَسَنَةً دَفَنَهَا، وَإِذَا رَأَى سَيِّئَةً أَذَاعَهَا) (أخرجَهُ الطَّبرَانيُّ وَصَحَّهُ الألبَانِيُّ فِي السَّلْسَلَةِ الْمُتَّقَدَّمةِ) (3137)

المصادر: